الدولة الرستمية 2

- **الجانب الاقتصادي :**

اهتم أئمة الدولة الرستمية بالجانب الاقتصادي لدولتهم ، فاهتموا بالزراعة وكانت تكثر فيها البساتين وزراعة الحبوب ، والعصفر والكتان والسمسم ، والنخيل ، ومختلف الفواكه ، والتين والزيتون ، فكانت تدر عليهم أرباحا طائلة ، وقد كانت تكثر فيها الأنهار ، وأقام الرستميون خزانات وأحواض للماء كبيرة اكتشفها الأثريون ، وكانت محكمة التصميم والهندسة ، ليحافظوا على الماء أيام الجفاف ، بل إنهم أوصلوا الماء إلى البيوت عن طريق الأنابيب وشق القنوات .

واهتموا كذلك بالرعي وتربية الماشية ، لكثرة المراعي الخصبة في الدولة الرستمية ، فكانوا يربون الغنم والبقر والجمال والخيول والبغال والحمير ، وكانت تجارتها رائجة ، وتصدر إلى الدول المجاورة ، وكانوا يستغلونها في إنتاج الصوف ، قال ابن حوقل يصف الماشية في تيهرت وأحوازها " : وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية ، ويكثر عندهم العسل والسمن . "

وقد اهتم الرستميون بالتجارة أيما اهتمام ، فأنشئوا الأسواق في مختلف المدن ، فكانت رائجة بشتى أنواع البضائع والمؤن التي تأتي من داخل الدولة الرستمية نفسها أو من الدول الأخرى عن طريق العلاقات التجارية ، حيث أنه كانت للدولة الرستمية علاقات تجارية مع الكثير من الدول كالأندلس ومصر وبلاد السودان وغيرها من الدول في المشرق والمغرب ، فكانت القوافل التجارية تخرج من الدولة الرستمية محملة بشتى أنواع البضائع والمؤن إلى تلك الدولة ، وتعود كذلك محملة بالبضائع التي تنتج في تلك البلاد ، وكانت تجارة الذهب وبيع الرقيق رائجة في ذلك الوقت ، وللدولة الرستمية نشاط كبير فيها ، ووصل النشاط التجار ي في الدولة الرستمية إلى حد أنه كان يوجد بها التخصص في الأسواق ، فكان بها سوق النحاس ، وسوق الأسلحة ، وسوق الصاغة ، وسوق الأقمشة وغيرها من الأسواق .

- **الحركة العلمية والثقافية :**

وكذلك اهتمت الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار ، ومن مكتباتها المشهورة مكتبة " المعصومة " التي كانت تحوي آلافا من المجلدات والكتب ، أوصلها بعض الباحثين إلى ثلاثمائة ألف مجلد ، فكانت تحوي بين رفوفها كتبا في علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وتوحيد ، وكتبا في الطب والرياضيات والهندسة والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم المختلفة ، ولم تكن كتبها مقتصرة على مذهب بعينه بل كانت تجمع مؤلفات لمختلف المذاهب الإسلامية ، ومن المكتبات المشهور الأخرى " خزانة نفوسة " الجامعة لآلاف الكتب ، وكذلك لم تخل منازل العلماء في الدولة الرستمية من وجود المكتبات الخاصة .

علاقة الدولة الرسستمية مع الخلافة العباسية :

اتسمت الصلات بين الدولة الرستمية الدولة العباسية بالعداء الى حد ما, وذلك بسبب:

1- نظرة بني العباس الى الرستميين باعتبارهم خرجوا عن الخلافة واقتطعوا جزء من ممتلكاتهم في المغرب, لانهم يعتبرون بلاد المغرب من ممتلكاهم التي ورثوها عن الامويين بعد زوال دولتهم, لهذا نظروا الى الرستميين نظرة عداء.

2- الاختلاف المذهبي بين الدولة العباسية, والدولة الرستمية.

3- ترجمة لشعور العداء هذا فقد شن قائد جيوش العباسيين محمد بن الاشعث حربا ضد الرستميين قتل فيها ابو الخطاب المعافري سنة 144ه. وكذلك تعقب عبد الرحمن بن رستم, ولكنه فشل في تتبعه, فقفل راجعا إلى افريقية.

أمام هذا التحدي حاول عبد الرحمن بن رستم حشد الهمم لمواجهة والي العباسيين عمر بن حفص (151-154ه) على أفريقية, ولكنه فشل بمسعاه, اذ استطاع عمر بن حفص من تمزيق هذا التحالف والانفراد بقوات عبد الرحمن بن رستم, ولكنه لم ينجح في القضاء عليه, وقد استمر الوالي العباسي في شن معارك ضد الاباضية الى ان قتل على ايديهم سنة 154ه.

وبعد مقتل عمر بن حفص خلفه على ولاية افريقية يزيد بن حاتم (155-170ه) الذي نجح في القضاء على ثورة الاباضية وقتل زعيمهم سنة 155ه, واستمر في ولايته على افريقية الى حين وفاته سنة 170ه.

ويبدو ان محاولة القضاء على ابن رستم كانت صعبة ولذا اتجه والي العباسيين روح بن حاتم (171-174ه) – اخو يزيد – على ولاية افريقية الى تحسين العلاقة واحلال الصلح بين الطرفين، فقد اجاب عبد الرحمن بن رستم لطلب الوالي العباسي ذلك في سنة 171ه, وبعد وفاة عبد الرحمن انتخاب ولده عبد الوهاب اماما (171-208ه), بادر الوالي العباسي روح بن حاتم الى عبد الوهاب لتجديد الاتفاق الذي كان زمن أبيه, وقد وافق عبد الوهاب على طلب الوالي العباسي, واستمرت العلاقات الحسنة بين الوالي العباسي والإمام الاباضي, وعلى العموم يمكن اعتبار طلب الوالي العباسي اعترافا رسميا من قبل العباسيين بسيادة الرستميين على المغرب الاوسط.

ولكن الهدوء والسكينة في عهد عبد الرحمن وولده عبد الوهاب مع بني العباس قد تعكرت في عهد افلح بن عبد الوهاب بسبب احتضان الخلافة لنفاث بن نصر وهو ثائر قام بحركة ضد الامام افلح بن عبد الوهاب وقد رحبت به الخلافة العباسية ، وهذا الحادث يشير الى احتواء بني العباس للقوى المعارضة للرستميين مما اثر في توتر العلاقة بينهما, بعد صفاء دام سنين، ومما زاد في الاوضاع سوءا هو القاء القبض على محمد بن افلح الملقب بابي اليقظان قبل ان يتولى مهام الامامة من قبل الخلافة العباسية حيث نقل الى سجن ببغداد ليحتجز لسنوات وهذه الحادثة كانت في موسم الحج حيث كان ابو اليقظان يؤدي مناسكه، ولكن العلاقة بين الطرفين قد تحسنت مرة اخرى وحيث كان مع ابو اليقظان في السجن احد اخوان الخليفة، وقد امر باخراج صاحبه من السجن بعد توليه الخلافة, وسمح له بالعودة الى

بلاده وقد يكون الخليفة العباسي المعتمد (256-279هـ) هو من كان مع ابي اليقظان في السجن حيث تشير المصادر انه كان مسجونا لما قتل الخليفة المهتدي سنة 256ه, ومما يرجح هذا الراي ان الاثنان كانا تقريبا متعاصرين في سني حكمهما, فالخليفة المعتمد تولى الخلافة من256-279ه, اما ابو اليقضان فقد تولى امامة وحكم الرستميين من 261-281ه, مما ساعد على تحسن العلاقة بينهما حيث كانا على قمة السلطة في كلا البلدين, وهكذا كانت العلاقات بين الطرفين حسنة تارة, وعدائية تارة اخرى.

اما العلاقات الاقتصادية فقد تميزت بالنشاط التجاري بين الرستميين وباقي مناطق الخلافة العباسية, حيث تاتي القوافل التجارية من البصرة وبغداد مرورا بالانبار وهيت وحران وحلب ودمشق وطبرية والرملة والفسطاط والاسكندرية, ومنها برقة وصولا الى حدود الدولة الرستمية حيث العاصمة تيهرت, التي تعتبر ملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف الجهات, وبالمقابل كان للرستميين دورا بارزا في التجارة ليس بسبب اهتمام الائمة الرستميين بالمسالك التجارية فحسب, بل كان الائمة الرستميين انفسهم تجارا ساهموا في انعاش اقتصاد المغرب, وقد اكد الشماخي هذه الحقيقة من خلال حديثه عن الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن.

وكان موسم الحج من وسائل الاتصال المهمة مع ديار الدولة العباسية, حيث كانوا يتدفقون بقوافل لاداء فريضة الحج, من جهة، وللتبادل التجاري من جهة اخرى, حيث توجد سلع متنوعة تتناسب واذواق الحجاج الذين يأتون من كل بقاع الارض, وعلى العموم كان لهذا التبادل اثره الايجابي الواضح حيث انتعشت الحالة الاقتصادية بسبب الاموال التي جاءت من الشرق.

اما في مجال العلاقات الثقافية بين الدولتين, فقد كانت قوية بين الرستميين واباضية المشرق الذين هم جزء من رعايا الدولة العباسية في بغداد والبصرة وغيرها, وكانت هذه العلاقات او الصلات تجسدت اما بتبادل كتب رحلات علمية بين الطرفين.